



*Corresponding author:

Asst. Prof. Jumana Abdul-Mahdi Jassim Al-Waeli

University: Wasit University
College: College of Education
for Human Sciences

Email: jumana@uowasit.edu.iq

Keywords:

structures, semantics,
semantic rhetoric, declarative
sentence.

ARTICLE INFO

Article history:

Received 17 Mar 2023
Accepted 26 Mar 2023
Available online 1 Apr 2023

The Effect of Syntaxes on the Significance of the Predicate Sentence in the Qur'anic Text:

A Rhetorical and Semantic Approach

A B S T R U C T

More than one researcher have been interested in studying the specificity of the Arabic language and trying to research the synthetic side of it according to a specific vision. Because every linguistic system in general is based on a set of distinctive features, as well as grammatical rules and relationships, the most important of which are attribution, subordination, and others.

Structures that are rhetorical grammatical methods that fall under semantics, such as deletion, introduction, interrogation, and the appeal... have a great ability to direct and monitor the significance of the Qur'anic declarative sentence, and I do not wish to elaborate on definitions that lengthen the search without benefit, as they are explained in the books of rhetoric; Rather, we are trying to make the topic focus on the significance of the embodied effect of the dominance of the structure over the significance of the Qur'anic declarative sentence, and I have dealt with it on eight points starting with the effect of introduction and delay in the significance of the declarative sentence, then the effect of deletion in the declarative sentence, and the effect of the interrogative in the significance of the predicate, and the connection and the predicate, and the separation and the declarative sentence, and the shortening, and the effect of the imperative style in the declarative sentence, and finally the effect of deletion in the declarative sentence.

© 2023 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: <https://doi.org/10.31185/>

أثر التراكيب في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآنيّ مقارنة دلالية بلاغية

أ.م.د. جمانة عبد المهديّ جاسم الوائليّ /جامعة واسط /كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربيّة
الخلاصة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله ربّ العلمين، صاحب العرش المتين، والصلاة، والسلام على الصادق الأمين، وخاتم النبيّين أبي القاسم محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

أما بعد، فلا يخفى ما للعربية من تراكيب، أو أساليب كثيرة، ومتنوعة، تكون طوع المتكلم يوظفها بحسب ما يحتاجه من المعاني؛ لذا اهتم أكثر من باحث بدراسة خصوصية اللغة العربية ومحاولة بحث الجانب التركيبي منها على وفق رؤية معينة؛ لأن كل نظام لغوي بشكل عام يقوم على مجموعة من الملامح المميزة، فضلا عن القواعد النحوية، والعلاقات وأهمها الإسناد، والتبعية وغيرها، وبناء على مافي العربية من تراكيب بلاغية متعددة لها دلالاتها الخاصة قسّمُ البحث عليها؛ لذا جاء على ثمان نقاط على وفق المنهج الوصفي والتحليلي، مبتدئة بأثر الحذف في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، ثم أثر التقديم والتأخير في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، وأثر الاستفهام في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، وأثر الخبر في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، وأثر الوصل والخبر في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، وأثر الفصل في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، وأثر القصر في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، وأثر أسلوب الأمر في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، وأخيرا أثر الحذف في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني، أما أهم نتائج البحث، إنّ تأثير الحذف، أو ذلك التركيب القدرة على تقوية الجملة الخبرية من خلال تجسيد الحالة المراد طرحها، والتقديم والتأخير وإن تقديم الجمل الخبرية مما حقها التأخير دلالة مقصودة يُريدها المتكلم، ويتقبلها المتلقي بفتنة العقل، أما النداء، فله التأثير البارز في الجمل الخبرية القرآنية، فقد خرج لمعان عدّة غير المعنى المخصص له منها تمهيده للطرح المقدم لأهميته، وقد برز تأثير الاستفهام في نقل دلالة الجمل الخبرية القرآنية إلى معنى التعجب الممزوج بالتوبيخ. و من تأثير الوصل في تلك الجمل الخبرية تبيان الكليات وأقسامها.

كلمات مفتاحية: تراكيب، دلالة، بلاغية دلالية، جملة الخبر.

توطئة:

قسّم أهل البلاغة الكلام على قسمين: "خبر وانشاء: فالخبر ما يصح أن يقال لقائله أنّه صادق فيه، أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقاً للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا"[الجارم، 1429هـ: 139]، والخبر هو "كل قول أفدت به مستمعه مالم يكن عنده"[ابن الكاتب، دت:93]، فالخبر كما هو معروف منه الخبر الصادق، ومنه الخبر الكاذب، ومنه الخبر الخارج إلى بُعد مجازي معروف عن طريق السياق، والتراكيب التي هي من أساليب النحو البلاغية التي تندرج تحت علم المعاني، مثل الحذف، والتقديم، والاستفهام، والنداء...لها قدرة كبيرة على توجيه ورصد دلالة الجملة الخبرية القرآنية، ولا أودّ

الإفاضة في التعريفات التي تطول البحث بغير طائل، فهي مبسطة في كتب البلاغة؛ بل نحاول تمحور الموضوع حول الأثر المتجسّد من هيمنة التركيب على دلالة الجملة الخبرية القرآنية.

1- أثر الحذف في دلالة الجملة الخبرية في النص القرآني:

الحذف الذي هو: "إسقاط جزء من الكلام، أو كله لدليل" [الزركشي، د.ت: 102/3] وقد يأتي للإيجاز وربما تجاوزه لدلالات لاتعدّ ولا تحصى تتمخّض دلالتها عن طريق السياق، وطبيعة الموقف، فقد تأتي الجملة الخبرية في وصف مشاهد القيامة، فتعطي التهويل ويدخل الحذف في مفاصلها ليوسع من أبعاد التهويل عن طريق الاتساع، ومنه قوله تعالى: "وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ" [النمل، الآية 87]

تتقدم عبارة (وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ) لتكون عبارة تجسديّة لهول يوم القيامة، الذي بيّنه الفعل (فَزَع) الدالّ على الخوف الشديد، وتدخل الإحاطة في الفزع من خلال إحاطة الفزع بين (السموات والأرض) ويدخل الحذف في دواخلها فأصل العبارة (فزع من في السموات من الخلائق والملائكة...) (و) وفزع من في الأرض من الإنسان، والجن، والدواب، والطيور... الخ) والحذف في الخبر أعطى شموليّة واتساع الفزع كان مؤداه اتساع دائرة الخوف والتهويل.

ويأتي الحذف في سياق الجملة الخبرية ليدلّ على التعظيم وشدة انكار الفعل، كما في قوله تعالى: "قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمَرِكَ سِنِينَ وَقَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتِ وَأَنْتِ مِنَ الْكَافِرِينَ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ" [الشعراء، 18-20]، فقد وصف النبي إبراهيم عليه السلام من قومه (بالضال)، وإن المقصود بالضلال هنا هو الهلاك [ينظر: العسكري، د.ت: 214] لتعظيم فعلته بتحطيم الأصنام، ويدخل الحذف في الجملة الخبرية (فعلت فعلتك) ليخفي وراءه الكلام الذي يمكن تقديره بـ (فعلتك فعلتك الكبيرة بتهشيم الأصنام وطرحتها أرضاً) ويبدو أن هذا الفعل كان كبيراً وعظيماً عندهم فقاموا بحذفه إكباراً له. والله أعلم.

ويأتي الحذف متنسقا مع الجملة الخبرية، ليعمل معها على صنع دلالة التهويل والتخويف، لما للحذف من قدرة على استيعاب النقاط الكثيرة المحذوفة، لينفتح النص على توقعات كثيرة تتساقق ودلالة النص، كما في قوله تعالى: "وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَهٗ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهٗ يَا لَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ" [الحاقة: 25-29].

فالجملّة الخبريّة تضع سياقاً يصف مشهد الخوف الكبير المتضمّن الحزن، والندم بعد وقوع الكافر أمام الله سبحانه وتعالى في موقف الحساب، وتدخل الجملّة الخبريّة في قوله تعالى: "وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ" ليدخل الحذف في دواخلها والذي يقع في عبارة (أُوتِيَ كِتَابَهُ) والحذف مقدر بـ (كتابه الذي يحوي على أعماله السيئة، ويحوي على عصيانه لله،، ويحوي على أكله للمال الحرام ، أو تركه للصلاة والصيام والعقوق.....الخ) ويبدو أن إظهار ما يحويه كتاب الكافر أمر طويل، فهو يحتوي العمر كله ولهذا جاء الاختصار، ولعلّ ترادف لفظة (شماله) مع (كتابه) قد أوحى بالخسران الكبير، فهو النذير الأول للهلاك، فالذي أوتي كتابه بشماله "ادركته الحسرة و ركبتة الندامة، فنسمعه يتوجع توجعا طويلا" [قطب، 2002م ، 215].

ويأتي الحذف في سياق الجملّة الخبريّة، ليعطي الخبر القرآني اتساعاً للمعنى يسعى إلى طوابع مجازيّة، منها التطمين، ومنها قوله تعالى: "قَالَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرَطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَى قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" [طه:45-46] جملة (إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى) هي جملة خبريّة موجهة من الله سبحانه وتعالى إلى موسى وهارون عليهما السلام حينما توجهتا لفرعون والنص الخبري كله داخل في باب التطمين، ولا عجب من ذلك فهم متوجهون نحو رجل حاكم ظالم كافر، ويدخل الحذف بنية الخبر في عبارة (إني أسمع وأرى) لإختزال كل التوقعات التي يمكن حصولها وردعها، ويمكن أن تكون (أسمع قوله، وأسمع وعيده وتهديده وظلمه....الخ) وكذلك (أرى)، فيمكن تحميلة دلالات محذوفة كثيرة منها: (أبصر فعله، وبطشه إن بطش فأصرفه عنكم ،الخ) وهذه المقولة الكامنة وراء الحذف هي من باب التطمين فهي: "عبارة عن الحراسة، والحفظ، وعلى هذا الوجه يقال: (الله معك) على وجه الدعاء وأكّد ذلك بقوله: اسمع و أرى فإن من يكون مع الغير-[الصواب مع الآخر؛ لأن غير لا تعرف بال التعريف] - وناصر له وحافظا يجوز أن لا يعلم كل ما يناله وإنما يحرسه فيما يعلم، فبيّن سبحانه وتعالى أنه معهما بالحفظ والعلم في جميع ما ينالهما وذلك هو النهاية في إزالة الخوف"[الرازي:ط1، 1981م، 22 / 60-61] ومعنى ذلك فإن الحذف حصر كل منافذ الأذى التي يمكن حصولها من فرعون ووعد الحق بردها عن طريق الحذف المُنساق في الخبر ؛ ذلك لأن حصرَ أقسام الشيء واستيفائها بالذكر له الأثر الجليل في تثبيت المعاني وتمكينها "[الشحات، 1994م: 254].

ويأتي الحذف في الجملّة الخبريّة القرآنيّة ليس لماهية اختصار الطرح الخبري بقدر ما يكون الهدف من ورائه إضماراً لا يمكن حصره، فيكون السكوت عنه دليلاً على انعدام القدرة بذلك، كما في تبيان نعمة الله

على عباده المتقين، في قوله تعالى: "وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا" [مريم:76].

إنّ الجملة الخبرية أرادت أن تطرح نعمة الله سبحانه وتعالى، ولما كانت النعمة لا يمكن حصرها، جاء الحذف ليعطي المعنى المنقّم في العبارة الخبرية (الباقيات الصالحات..) فالباقيات عبارة مفتوحة الدلالة معومة تفتح النص نحو الاتساع، وإتّما ذلك تمّ عن قصدية؛ لأنّ " القرآن يحذف من الكلمة لغرض وليس اعتباطاً فالتعبير القرآني تعبير فنّي مقصودٌ، كل كلمة بل كل حرف إنّما وضع لقصد "[السامرائي، 2006م:10].

ومن أمثلة حذف الخبر في الجملة الخبرية الذي أعطى دلالة نفسية مرسومة، ما جاء في قوله تعالى "وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" [القصص:10]، فالجملة الخبرية قامت بنقل الإحساس بالألم الذي اجتاح فؤاد أم موسى عليه السلام بعد أن الفته في اليم، ويتقدم الفعل (أصبح) الجملة الخبرية من دون (أمسى) بداية الكشف عن كوامن الأشياء وإظهارها، وتدخل لفظة (فارغا) في الجملة الخبرية لتتبطن في دواخلها الحذف المعوم، خافيا وراءه محذوفات عدّة، هو يمكن أن يكون (فارغا من شدة الحزن أو شدة الخوف على ابنها، أو شدة الفراق....الخ)، أو أن " الربط على القلب: توثيقه عن أن يضعف كما تُشد العضو الوهن، أي ربطنا على قلبها بخلق الصبر فيه" [ابن عاشور ، 1984م: 20 / 82] ولهذا فإن اللفظة التي جاءت في السياق الخبري خلّفت ورائها محذوفات قادرة على اللّم والإحاطة، يبيّن ذلك عبارة (وربطنا على قلبها) فقد جاءت النص لفظ (ربط) التي هي لغة من " ر ب ط : رَبَطْنَاهُ رَبَطًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ وَمِنْ بَابِ قَتَلَ لُغَةً شَدَدْتُهُ وَالرَّبَاطُ مَا يُرَبِّطُ بِهِ الْقَرْبَةَ وَغَيْرُهَا وَالْجَمْعُ رُبُطٌ مِثْلُ: كِتَابٍ وَكُتُبٍ وَيُقَالُ لِلْمَصَابِ رَبَطَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ بِالصَّبْرِ كَمَا يُقَالُ أَفْرَعُ اللَّهُ عَلَيْهِ الصَّبْرَ أَيَّ اللَّهُمَّ.. "[الفيومي، ط2، دت، 80/1، مادة (ربط)] كنية عن الشدّ على القلب لشدة المصاب وضعف التحمّل فربط "يدلّ على شدّ وثبات" [ابن فارس، دت، 478/2، مادة (ربط)] فاستعمل النص القرآني الربط للقلب لإعطاء دلالة قوة الصبر التي ألقاها الله في قلب أم موسى (عليه السلام) إذ "شبه ما قذف الله في قلبها من الصبر بربط الشيء المنفلت واستعار لفظ الربط للصبر" [سلامة، 2002، 224].

ويدخل الحذف على الجملة الخبرية، فيعمل على إيقاعها بطابع الدهشة والتعجب؛ لأنّ الإخبار وإن كثر لا يكون قادرا على الإفصاح، أو أنّ الإخبار المفصل منعه، فضلا عن التعجب، فهو مانع آخر، كما في قوله تعالى: "فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ" [الذاريات، 29]، فالجملة الخبرية هي على لسان زوجة النبي إبراهيم " عليه السلام" بعد إلقاء البشري عليها بمولد إسحاق (عليه السلام) بعد كبر

سنها الأمر الذي أصابها بالدهشة [ينظر: الشوكاني، 1414هـ، 1407] ، ولما كان الأخبار حاملا للدهشة والاستغراب غابت ألفاظ في عبارة (عجوز عقيم) يمكن تقديرها (ألد وأنا عجوز كبيرة في السن وليس لي القدرة على الحمل وليس لي ما يمهد له من جهد، أو جسم... الخ إذ "حصل الحذف في قوله (عجوز عقيم) فحذفت المبتدأ (أنا) فأصل الجملة (أنا عجوز عقيم) لقد حذفت المسند؛ لأن قرينة الكلام تكشف ذلك كما أن حذفه يساعد على إظهار الدهشة والاستغراب" [الفيل، دبت، 57].

ويدخل الحذف في الجملة الخبرية، فيقوم على تقوية أثرها، فيعطيه مساحة كبيرة من التجسيد للحالة المراد طرحها، الأمر الذي لا يقدر الذكر على طرحه في الجملة الخبرية، ومنه قوله تعالى: "وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ" [الأعراف: 4]، فالجملة الخبرية التي يقدمها النص القرآني تبين حالة من التهويل لعذاب الله - سبحانه وتعالى - على الكافرين، ويدخل الفعل (أهلكنا) ليحمل القوة فالهلاك هو الدمار النهائي المفضي للزوال ثم إن العامل الجمعي المتمثل بالضمير (نا) قد أعطى القوة الجمعية في الإهلاك وجاء الحذف في (كم من قرية أهلكناها) المقدر (كم من أهل قرية أهلكناها) ليحمل طابع الشمول في التدمير فلا أناس بقت ولا بيوت ولا حرث ولا نسل - اعادنا الله من عذابه - وبذا يتم نقل صورة التهويل التي لا يمكن رصدها في الخبر القرآني من خلال الذكر.

2 - أثر التقديم والتأخير في دلالة جملة الخبر في النص القرآني:

التقديم والتأخير من أساليب النحو البلاغية، وهناك في اللغة العربية أشياء من حقها التقديم، مثل تقديم المبتدأ على الخبر، والفعل على الفاعل، والفاعل على المفعول به، أو الموصوف على الصفة، والمضاف على المضاف إليه، وقد تتقدم ما ذكرنا وكان حقها التأخير على ما تقدمها كتقديم الخبر على المبتدأ وغيره، ليكون وراء ذلك دلالة مقصودة، أريد إيصالها إلى المتلقي، ويدخل التقديم في الجملة الخبرية القرآنية، ليدل على الأهمية في الشيء وعلى عظيم النعمة المقدمة من الله سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: "وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَدِ مَيْتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ" [فاطر8-9] ويلاحظ تقدم لفظة (الله) سبحانه وتعالى مبالغة بالتعظيم ليتساوق وعظيم النعمة المقدمة (الماء) الذي هو أساس كل شيء حي، ولعل لفظة (أرسل) فيها من العلو، والشموخ ما يدل على المالك المتصرف، ثم يأتي فسقناه ليستحضر كمال العناية بكمال الوجود "ليحدث إيقاظا ولفتاً عند هذا المقطع المهم من مقاطع المعنى؛ لأن سوق السحاب إلى الأرض الميتة، فتحيا ضرب من قسمة الأرزاق، فناسب أن ينقل الإسناد إلى ضمير ذي الجلالة سبحانه وتعالى" [أبو موسى، 1996م، 255-256]

ويأتي التقديم في عبارة (فأحيينا به الأرض بعد موتها) وأصل العبارة (أحيينا الأرض به) وقد قدم الضمير (به) الدالّ على الماء، لبيان فضل الماء، فهو النعمة الكبرى التي يصحّ أن يطلق مجازاً (البلد الميت) إن يوجد فيها "فالإحياء أمر عقليّ، ثم وقع مستعاراً لإظهار النبات، والأشجار، والثمار، وأنه أمر حسيّ" [السكاكيّ، 1983م، 391].

ويأتي التقديم مع الجملة الخبريّة لبيّن الحاجة إلى الجهاد، فيقدّم النفس على من سواها مبالغة بالتضحية لله سبحانه وتعالى على نحو ما جاء على لسان لوط (عليه السلام) مخاطباً قومه العاصين: "قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ" [هود، 80].

لذا يتضح ان الجملة الخبريّة القرآنيّة تنقل مشاعر الضيق التي أتت على لوط (عليه السلام) حين أحاط به قومه طلباً للمعصية، وليس لديه القدرة في ردّهم، ويظهر حسّ التفاني من خلال أسلوب التقديم المتواشج مع الجملة الخبريّة، فقدّم نفسه (لو أن لي بكم قوة) على طلب النصر من الغير (أو آوي إلى ركن شديد) "فالمعنى لقويت عليكم بنفسي، أو آويت إلى قوي أستند إليه وأتمنّع به، فيحمني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته" [الزمخشريّ: 1998م، 220/3]، فقدّم نفسه مبالغة بالتضحية ثم جاء (بالركن) الأعوان و "هذه المحاورة تكشف عن قلقه الكبير وتمزقه" [البستانيّ، دت 265/1]، وعلى رغم من ذلك، فقد قدّم النفس مبالغة بنصرة الله سبحانه وتعالى أو اعتذار من مما فعله قومه والله العالم.

وقد تأتي الجملة الخبريّة، فيأتي في سياقها التقديم لبيّن التدرج في الطرح الخبريّ ومنه تبيان التدرج في النعمة، أو في شدة البلاء، نحو قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبِحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ" [البقرة، 49]، وذكر الفراهيديّ (ت175هـ) "السوء نعت لكل شيء ردى...و.السوء اسم جامع للآفات والداء" [الفراهيديّ، دت، 327/7، مادة(سوء)]، وقدّم الأولاد على استحياء النساء؛ لأنه أشدّ وأكثر إيلافاً "قتل الأولاد مضرّة من وجوه أحدها يقتضي انقطاع النسل... وثانيها أن إهلاك الرجال يقتضي فساد مصالح النساء في أمر المعيشة...، و الثالث وهو عامل نفسيّ – أنّ قتل الولد عقب الحمل الطويل وتحمل الكد من أعظم العذاب" [الرازيّ، 1981، 74/3]، ويدخل التقديم و الحذف في إطار الجملة الخبريّة القرآنيّة، فيعمل على التهوين والتطمين عن طريق التوسع والترتيب، كما قوله تعالى: "فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" [البقرة، 38] فالجملة الخبريّة في الآية المباركة نزلت خاصة في خطاب المؤمنين لتوقعهم في حالة التطمين المزيل للخوف من اليوم الآخر؛ لأنه

سبحانه وتعالى غافر لهم إذ "لا شيء أضرّ بالإنسان من الحزن و الخوف؛ لأن الحزن يتولّد من مكروه ماض، أو حاضر، والخوف يتولّد من مكروه مستقبل" [الثعالبي، 1897م، 10-11]

ويدخل التقديم ليسهم في تشكيل الجملة الخبرية المقدم، فتقدّم النعم تباعا من خلال رفع البلاء الأشدّ، ثم الأقلّ شدةً للتذكير والانتباه والتذكر، فتذكر أولاً نعمة زوال الخوف، ثم نعمة انتفاء الحزن، ولا يختلف عاقلان أن الخوف من خطرٍ محقق هو أشدّ من الحزن، فكيف والخوف مرتبط بعذاب الله سبحانه وتعالى، ثم يدخل الحذف في الجملة الخبرية؛ ليعطي طابع الشمول في الجملة الخبرية لمضاعفة النعمة (لا خوف عليهم) يكمن وراءه نفي الخوف من كل ابتلاء وعذاب، وهو لا يعدّ، وكذلك فـ (لاهم يحزنون) فيها توسع للمعنى، فهي تضم كل أنواع الحزن وهي لا تحصى، فالحمد لله الذي أنعم على عباده فلم يترك، نعمة إلا ووعد بتحقيقها ووعد الحق.

وللتقديم أثرٌ كبيرٌ على الجملة الخبرية القرآنية، فهو يعمل على تطويقها بالإحاطة ويعطيها جانب القوة والشمول، كما في قوله تعالى: "وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" [البقرة، 244].

الآية المباركة في خبرها نزلت في حثّ المؤمنين على القتال [محمد رضا رشيد، 457/2]. بدليل الفعل قاتلوا الذي تأتي بعده الجملة الخبرية (واعلموا أنّ الله سميعٌ عليمٌ) التي تبين علم الله بالنوايا التي يضمها العبد في نفسه، مع الحث على الجهاد لأن الله العالم بالنية والمجازي على العمل بالثواب العظيم، وتتقدّم في الجملة الخبرية لفظة (السميع) على (العليم) مع إن العلم هو الأعظم والسمع من أجزاءه وعناصره، بيد إن السمع هو الكاشف للغيب والمخفي، الذي لا يرى - والله أعلم - ليتم تطويق وإحاطة كمال العلم عند الله .

وتأتي الجملة الخبرية لتحمل طرحة معينا في النص القرآني، فيأتي التقديم، فيعمل على تبين مضمون سبب الطرح، أو سبب العدول عن الطرح القديم إلى الطرح الجديد، ومنه قوله تعالى "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ" [البقرة، 32].

فالآية تبين الطرح الآخر للملائكة، وهو طرح العاجز الذي قدّم الطرح الخاطيء الأول بغير علم، وهو الذي تبينه الآية المتقدّمة "قَالُوا أَنْجَعُلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" وكأنه طرح العالم، ولما جاء الرد "قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" وفصلت الحقائق والبراهين "قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا" ولهذا فقد قدم (العلم على الحكمة) في الجملة الخبرية فالظاهر أن علم الملائكة هو علم حكمة لا علم دراية وتيقن، فهو لله وحده سبحانه وتعالى " وتذييل الآية يؤكد مضمون الجملة السابقة ولما نفوا العلم عن أنفسهم أثبتوه لله سبحانه وتعالى على أكمل أوصافه" [الألوسي، د.ت، 227/1]. وتقدم العلم على الحكمة في الجملة الخبرية جاء ليبين صفات

الكمال لله؛ لأن الحكمة منبثقة من العلم "فالحكيم أصله لمن له الفعل المحكم؛ لكن لا يصح حصول الفعل المحكم إلا بالعلم (المتقن) صارت الحكمة متناولة للعلم، والعمل معاً فالحكمة منهل العلم، والعلم مبدأ الحكمة ولا يتم أحدهما إلا بالآخر فلهذا جمع بينهما وقدم العليم (هاهنا) على الحكم" [الأصفهاني، 1999م، 147/1] ولهذا فإن "الحكمة كمال في العلم" [ابن عاشور، 1984م، 416/1]، ولهذا أصبح التقديم قادراً على كشف ماهية الخطاب ووسيلة للاعتذار من الخطاب السابق، وتبين سبب العدول عنه والله أعلم .

ويأتي التقديم في الجملة الخبرية في وصف النعيم الأخروي؛ فيعمل على ترتيب الأريحية الموضوعية في الجنة، ليعمل على وضع معادل نفسي قادر على الجذب لنعيم الآخرة، ومنه قوله تعالى: "فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ" (الغاشية: 13-15) .

إن نعيم الجنة لا يمكن وصفه، فهو من عطاء الله سبحانه وتعالى، وتظهر الجملة الخبرية جزء منه، فتظهر لقطة هي: (سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ) و(أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) ولكل حكمة في الجمال والأريحية، فقوله (فالسرر المرفوعة تثير في النفس الأريحية وإمكانية رؤية نعيم الجنة وجمالها من علو ليتمكن من الإحاطة في الرؤية والتمتع بالجمال [ينظر: الرازي، 15: 31/1981، وابن كثير، 1419هـ: 8/386] . كذلك لا يخفى من علو السرير من الشعور بالسلطة وأبهة الملك، ثم تأتي اللقطة الثانية (وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) وهي "موضوعة بين أيديهم ليتلذذوا بالنظر إليها، أو موضوعة على حافات العيون معدة للشراب" [النسفي، 1419هـ = 1998م: 3/635]. وهي وسيلة للراحة والجمال والخدمة والأريحية، بيد أن هناك طرحاً في الجملة الخبرية لا بد من الولوج فيه، وهو البحث في السبب الذي دعا إلى تقديم (السرر المرفوعة) على (الأكواب الموضوعة) والسبب - والله أعلم - جلي وواضح وهو أن الإخبار جاء في وصف نعيم الجنة التي هي أساس الراحة والطعام والشراب والنعيم، ولما كان الطعام والشراب بلا راحة ولا سرور منغصاً، تقدمت وسيلة الراحة عليه، بقوله تعالى: (سرر مرفوعة) ، فيكون الشراب هنيئاً تحوطه الراحة.

وتأتي الجملة الخبرية لتنتقل لمشاهد الآخرة ، فتضع صورتين تقومان على الموازنة والتناقض، صورة الإنسان المؤمن، وصورة الإنسان الكافر، فيعمل التقديم والتأخير فيها عمله في الطرح الخبري، وذلك في قوله تعالى: " يَوْمَ نَبْيِضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" [آل عمران: 106-107] .

فالصورة المنقولة صورة الوجوه البيضاء (المؤمنين التي تقابلها الصورة (السوداء) الكفار فالبيضاء " يبدو عليها من الراحة والاطمئنان، وتُسودُ وجوه المجرمين لهول الموقف والمصيبة العظيمة التي تحل بهم"]

ابتسام الصفار:144]، وتتقدّم الصورة البيضاء في الجملة الخبرية للإعلاء من شأن المؤمن فهو المقدم في الوصف، ثم لا يلبث الوصف حين يتحوّل للجزء أن يتقدّم الكفار ويتأخر المؤمنون "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ" وليس السبب في ذلك - والله أعلم - هو التهوين للمؤمن على حساب الكافر، بل للتكبير بالكافر بتقديم العذاب، وكذلك فإن نتيجة المؤمن معروفة باستقبال الخير بدليل (بياض الوجه). فلا حاجة لتقديمه، فهو مطمئن.

3 - أثر النداء في دلالة جملة خبر في النصّ القرآني:

ويدخل النداء في سياق الخبر القرآني ليبين ماهية التطمين، ويظهر المشهدية التي ينقلها الخبر القرآني، نحو ما ورد في قوله تعالى: " فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِي يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ". [طه 9-18]

يلاحظ الجملة الخبرية المتقدمة (فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِي يَا مُوسَى) هي جملة خبرية لا يمكن فصل النداء عنها، فهو جزء من كيانها، أنت لتسرد وقوف موسى عليه السلام في مواجهة هيبة الله سبحانه وتعالى، ويظهر أن عبارة (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ) قد حملت هول المفاجأة مع التخويف لجلالة المخاطب، لذا تقدم في الجملة الخبرية عبارة (يا موسى) لتدخل في سياقها ولتثبت حالة السكون والتطمين التي ألقاها الله تبارك وتعالى على قلب موسى عليه السلام " ففي النداء إقامة علاقة مع الآخر " فارس، 1989: 16] ، ومعنى ذلك تطمين مصحوب بسابق المعرفة، طلبا للإصغاء، فالله سبحانه وتعالى في هذا السياق أراد بث التطمين في قلب موسى عليه السلام ليريه بعد ذلك معجزاته [الخالدي: د.ت: 2/360].

ويتبين أثر النداء في الجملة الخبرية القرآنية في كثير منها، فيكون أشبه بالتمهيد للطرح المقدم لأهميته، أو لصعوبة وضعه، فيكون النداء من باب الترفق في تبين الخبرية، ومنه، خطاب يوسف عليه السلام لصاحبي السجن، في قوله تعالى: " يَا صَاحِبِي السِّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْآ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرَ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضِي الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ " [يوسف: 41] فالخبر المقدم يُبين تفسير الرؤيا الأول يرجع لعمله، والآخر يصلب، ولما كان الطرح شديدا على أحدهما مهّد له عليه السلام بالنداء الذي أثر على ماهية الجملة الخبرية (يا صاحبي السجن) إذ: " ناداهما بعنوان الصحبة في مدار الأشجان ودار الأحران الذي تصفو فيه المودّة وتخلص النصيحة ليُقْبَلَا عليه ويقبلا مقالته" [العمادي، د.ت: 4/278]؛ ولهذا جاءت الجملة الخبرية حاملة الرفق، واللين في الطرح. والله أعلم.

ومثال النداء الذي يجيء مع الخبر للتطمين والتقريب للأقناع، قوله تعالى على لسان أحد مؤمني آل فرعون: " وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ " [غافر:38]، فعبارة (قال الذي.....) هي جملة خبرية حكاية تصف مقالة المؤمن الذي دعا قومه للإيمان بالرسول وتصديقهم، ويدخل في طبيعة سردها الحكائي النداء في عبارة (يا قَوْمِ اتَّبِعُونِ) لزيادة التنبيه وطلباً للتصديق، ولعل طبيعة النداء بالقوم مقصودة، وقد كرر النداء مرتين وذلك " لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ من سنة الغفلة؛ ولأنهم قومه وعشيرته ... فإن سرورهم سروره وغمهم غمه وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز " [ابن الأثير، 1956م:207].

ويأتي النداء في سياق الجملة الخبرية القرآنية ليس لأنه في سياق الجملة الخبرية فقط؛ بل لأنه من السياقات التي تقوم على رصد الدلالة، وإظهار حالة معينة فيها كإظهار حالة التلطف في قوله تعالى: " وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " [يس 20-22].

فالجملة الخبرية في قوله تعالى: (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى) لا تكتمل دلالتها إلا بعبارة (قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) ولما كانت جملة النداء كيان لا يمكن فصله عن الخبر، فإن مجيئها كان على وفق دلالة مختارة، فالنداء جاء للتنبيه وجاءت لفظة (قوم) المرتبطة بالنداء للمبالغة بالنصح لتذكيرهم بقربهم منه إذ نرى " إن هذا الرجل المؤمن قد نصح قومه بأجمل الطرق وأفضلها... وهو يريد نصح قومه تلطفاً و أعلاماً انه يريد لهم ما يريد لنفسه ثم التفت اليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى " [السيوطي: دت، 253/3].

4 - أثر الاستفهام في دلالة جملة الخبر في النص القرآني:

الاستفهام هو "طلب حصول صورة الشيء في الذهن" [السبكي، 1423هـ، 246/2]، وقد جاء أثره في دلالة الجملة الخبرية القرآنية، ليعمل على رصد دلالتها المقصودة، ويأتي الاستفهام ضمن سياق الجملة الخبرية، ليعمل على نقل الجملة الخبرية القرآنية الخارجة لمعنى التعجب الممزوج بالتوبيخ، ومنه قوله تعالى: "إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ " [المدثر:19-25].

تنقل الآيات المباركة عن طريق الإخبار قول الوليد بن مغيرة في النبي (صلى الله عليه واله وسلم): " ما هو إلا ساحر، أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله و ولده و مواليه، وما الذي يقوله إلا سحر [الزمخشري،

دبت، 6 / 256-257]، والجملة الخبرية التي لا يمكن فصل عراها (قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ) التي تنقل في دواخلها غضب الله سبحانه على هذا الرجل الكافر المزور للحق، بعد معرفته والتأكد منه، فهو عَرَفَ أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، فانكره وأسندة للسحر، فهذا فالاستفهام المتقدم في باب الجملة الخبرية هو ضرورة ملحّة في السياق، وهو " استفهام مستعمل في التعجب المشوب بالإنكار "[ابن عاشور، 1984: 309/29]، ولهذا فالخبر القرآني قد وقع كلّه في باب التعجب الكبير من حالة من يعرف الحق وينكره، ولا يخفى ما وراء ذلك من التقريع، الذي بينه التكرار في الجملة الخبرية (قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ).

5 - أثر الوصل، والخبر في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني:

يقصد علماء البلاغة بالوصل العطف بالواو ويقصدون الفصل ترك العطف به [ينظر: الجارم، وأمين، 1429 هـ: 228]، ويأتي الوصل في الجملة الخبرية القرآنية، ليربط الأشياء برباط لا ينفصل، خاصة إذ كانت الأشياء المقدّمة لامجال لفصلها، نحو ماجاء في التنزيل الكريم: " إِنْ لَكَ إِلَّا تَجُوعٌ فِيهَا وَلَا تَعْرِى وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى " [طه 117-119]، ففي قوله تعالى تبيين النعم التي أعطاه الله سبحانه وتعالى، لآدم عليه السلام

فنعمة الله على آدم عليه السلام كانت متواصلة (لا تجوع ، لا تعرى) و(لا تظمأ، لا تضحى) وهذه النعم المتقدمة قد تتابعت واحدة تلو الأخرى، فالجوع، ثمّ العرى، ثمّ الظمأ وأن هذا التسلسل منطقيّ لأهميته، فالجوع أقسى من عدم الأكساء، والعطش أقسى من الحر [ينظر: بسيوني ، 1419 هـ = 1998م: 49]، وجاء حرف الواو في الجملة الخبرية لبيان كمال النعمة " فقرن الجوع بالعرى لما للإنسان فيهما من مزيد المشقة وعظيم الألم بملاستهما، وأراد مناسبة الاستظلال للرى، فقرن بينهما لما في ذلك من مزية الامتنان وإكماله، ووجه آخر وهو أن الجوع يلحق منه ألم فى باطن الإنسان وتلتهب منه أحشأؤه، والعرى يلحق منه ألم فى ظاهر جسد الإنسان، فهذا جمع بينهما لما كان أحدهما يتعلق بالظاهر، والآخر يتعلق بالباطن " [الزيدي ، 1423 هـ: 82/3] .

وتأتي الجملة الخبرية حاملة الوصل في جوانبها، ومتعاقبة في الطرح الخبري؛ لتبيان الشيء في صفاته، كما في تبيان النعم الأخروية في الآخرة في قوله تعالى: " يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا " [الواقعة : 17-34] فنعم الآخرة الحسية الملموسة تأتي مترادفة (الخدمة، الكؤوس، الشراب، الفاكهة، لحم الطير، الحور العين)

وملاحظة بسيطة تكشف التتابع في استعمال حرف الوصل المتتابع في الجملة الخبرية ليعلن التتابع والتواصل في هذه النعم وعدم الانقطاع فيها، كما في (وأباريق، وكأس، وفاكهة، ولحم طير، وحرور عين) وقد غاب الفصل للسبب المتقدم أن النعم متواصلة غير منقطعة، ولا متأخرة. والله العالم.

ومن أسرار فوائد مجي الوصل في باب الإخبار هو إتمام الفائدة من طرح صفات شيء معين والإحاطة بتلك الصفات، كما في رسم صورة المتقين في قوله تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ" [البقرة: 2-4].

إذ تتقدم لفظة (المتقين) لتأتي بعدها (الذين) الواقعة في باب الصفة وتندرج الصفات مرتبطة بحرف (الواو) (يؤمنون بالغيب... وقيمون الصلاة... ومما رزقناهم ينفقون.. والذين يؤمنون بما أنزل إليك.... وبالآخرة هم يوقنون"، ففائدة الوصل في الخبر أن صفة المتقي لا تجوز إلا من حمل الصفات المتقدمة جميعا وهي الإيمان بالغيب وبما أنزل على النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) والصلاة، والإنفاق، واليتقين من يوم الحساب، وأي جهل بأي نقطة مما تقدم يلغي صفات المتقي ممن يعتقد أنه يحملها.

6 - أثر الفصل في دلالة جملة الخبر في النص القرآني

ويدخل الفصل في باب الجملة الخبرية ليعطي ويسبغ على الصفات الإخبارية القرآنية التداخل، والتماثل، أو إعطاء إحاء أن كل واحدة منها تحتاج لوقفة كما في صفات المنافق المشرك الذي يدعي الإيمان فكل صفة من صفاته المصورة تقف حائلا أمام الإيمان لوحدها فكيف إذ توالى وتجمعت، كما في قوله تعالى: "وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ" [البقرة: 14-17]، فبعد أن تقدمت صفات المنافقين، ووصفهم التذبذب بين المؤمنين وشياطينهم من الكفار، ثم دخول الوصف التشبيهي المسجد لحالتهم وخسرانهم، تأتي الجملة الخبرية (صم بكم عمي) لتضع الباكورة النهائية المجسدة لانعدام الهداية عندهم لغياب الحواس الموصلة لها، ويبدو أن الفصل قد جاء في باب الإخبار ليمثل وقفات كل وقفة يمكن أن تكون حائلا عن إيمانهم، فكيف بها إن اجتمعت.

ويخلق الفصل في الجملة الخبرية حالة من الدهشة التي تتطلب من المتلقي الوقوف والتعجب من فداحة الطرح كما في قوله تعالى لمن جعل الله شريكا وولدا: "وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا" [مريم 88-89].

إن ماهية الطرح ومن أول وهلة تتطلب التعجب المتناسق مع لفظ الجلالة (الرحمن) الذي يوحي بالعظمة والقوة، فهو رحمن الدنيا والآخرة ويجعل له شريكا، ثم لا تلبث الجملة الخبرية الأخرى (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا) لتمثل التعجب الأكبر من هول الطرح، ويبدو أن ترك الوصل بين الجملتين الخبريتين كان وراءه - والله أعلم - الوقوف على الطرح قبل الدخول عليه ليستوعب المتلقي شدة التجني المنبثقة من موضوعه؛ لأنه ارتبط في صفات الله سبحانه وتعالى ولا أعظم من ذلك .

7- أثر القصر في دلالة جملة الخبر في النص القرآني:

وهو " تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص" [السبكي، 1423هـ = 2003م: 166/2] ويدخل القصر على الجملة الخبرية القرآنية، فيعمل على تحديد نقاط الالتقاء والتشابه بين أمرين، ويكون برهانا وشاهدا على التمعن والاعتاظ، ومنه قوله تعالى في وصف الدنيا الزائلة: " إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" [يونس: 24] جاءت الآية في وصف الدنيا الزائلة من خلال صورة الخبر، فالصورة منتزعة من متعدد ولا يمكن فصل بعضها عن بعض [ينظر: الطبرسي، 1353هـ = 1934م: 5 / 175] ؛ فهي في جمالها وزوالها تشبه النبات الجميل الذي يخبو جماله ويتحول لهشيم [ينظر: سعيد، 2005م: 93]، وإنما تدخل على الجملة الخبرية، فتحصر الدنيا بحال النبات وشكله فالجمع بينهما في الشكل والمعنى الذي يجمع الأمرين الزينة والبهجة ثم تحولهما إلى الهلاك وفي ذلك عبرة وموعظة " [العسكري، 1952م: 241].

8- أثر أسلوب الأمر في دلالة جملة الخبر في النص القرآني:

الأمر هو: " طلب فعل غير كف على جهة الاستعلاء" [السبكي، 1423 = 2003م]، ويدخل الأمر على الجملة الخبرية القرآنية، فيعمل على انحراف أثرها من الإخبار الحقيقي إلى مدلول آخر مقصود يعطي التأثير الذي لا تسطيع الجملة الخبرية لوحدها أن تؤديه، كما في النص القرآني الآتي الذي يقوم الأمر فيه

بحرف الجملة الخبرية إلى التهكم والسخرية، وذلك في قوله تعالى: "ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ" [الدخان:48-49].

يلاحظ الجملة الخبرية المتقدمة جاءت في باب التقريع الممزوج بالسخرية مخاطبة الكافر بسياق خبري (أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ) بيد أن الموقف الراهن وهو موقف العذاب الموجه للشخص يقوم بكسر حاجزه الاعتيادي أسلوب الأمر (ذق) الداخل في العذاب ليتشكل إطاراً جديداً من خلال تعاقب الخبر والأمر وهو التقريع والسخرية فـ " الآية مصدره بفعل (ذق) لا لتطالب منه أن يذوق العذاب فطلب الذوق إنما يكون على حقيقته إذا توجه إلى من لم يخبر المذوق ولم يدرك كنهه، ومن ثم فإن غاية الأمر حينئذ تكون هي السخرية والتهكم" [حسن طبل، 1425هـ = 2004م] ذلك لأن "الإهانة تتحقق باستعمال صيغة الأمر في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور، وبدون قصد من الأمر إلى فعل ما أمر به" [قليظة، 1407هـ = 1987م:155] ، وبهذا فقد أخرج الأمر الجملة الخبرية إلى السخرية والتهكم الذي هو: "عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الندارة، والوعد في مكان الوعيد تهاوناً من القائل بالمقول له واستهزاء به...وهو أعيظ المتستهزأ به وأشد إيلاماً له" [درويش، دت:135/9].

فيما سبق يتضح أثر دلالة التراكيب في الجمل الخبرية في النص القرآني، وقدرتها على تلوين وتنوع المعاني، والدلالات، ولا عجب في ذلك، فالنص القرآني كتب محكم من عزيز قدير، تضمّن كل القصص والأحكام التي تقود المجتمع، بطريقة تحاكي عقول البشر جميعهم على اختلاف مستوياتهم الذهنية والفكرية، وتنوع لغاتهم، والله ولي التوفيق.

الخاتمة:

انتجت دراسة أثر التراكيب في دلالة جملة الخبر في النصّ القرآني مقارنة دلالية بلاغية عدد من الدلالات للجمل الخبرية القرآنية بمعانٍ متنوعة يمكن حصرها بحسب التركيب بما يأتي:

1. قدرة الحذف في الجمل الخبرية القرآنية على صناعة دلالات متنوعة يحكمها سياق النصّ القرآني من خلال انفتاح النصّ على توقعات كثيرة تتناسب ودلالة النصّ، منها الدلالة على المبالغة والتعظيم وشدة انكار الفعل.
2. واتضح بصورة جلية أثره البالغ في اعطاء الخبر القرآني صفة الإتساع بالمعنى بالاعتماد المجاز واقسامه، وهو صورة من الصور البلاغية.

3. ومن مزايا الحذف في الجملة الخبرية القرآنية اضرار ما لا يمكن حصره من المعاني، فيبقى ذهن المتلقي محتملا لمعان متعددة ومتنوعة لم تذكر في تلك النصوص.
4. ومن تأثير الحذف أو ذلك التركيب القدرة على تقوية الجملة الخبرية من خلال تجسيد الحالة المراد طرحها.
5. والتقديم والتأخير من أساليب اللغة العربية لاسيما في النحو والبلاغة، وإن تقديم الجمل الخبرية مما حقها التأخير دلالة مقصودة يُريدها المتكلم، ويتقبلها المتلقي ببطنة العقل، كما أنه يفيد التدرج في الطرح الخبري، ومقدرته في كشف ماهية الخطابات، أو العدول عنها.
6. أما النداء، فله التأثير البارز في الجمل الخبرية القرآنية، فقد خرج لمعان عدة غير المعنى المخصص له منها تمهيده للطرح المقدم لأهميته.
7. وقد برز تأثير الاستفهام في نقل دلالة الجمل الخبرية القرآنية إلى معنى التعجب الممزوج بالتوبيخ.
8. ولا يخفى ما للوصل من تأثير في تلك الجمل الخبرية فبه تبيان الكليات واقسامها، منها الأسم وما يحيط به من أجزاء مرتبطة به، أو الاسم والصفات التي تحده.
9. إن مجي الوصل في باب الإخبار هو إتمام الفائدة من طرح صفات شيء معين، والإحاطة بتلك الصفات.
10. والفصل له التأثير الجلي من خلال القدرة على اعطاء ايعاءات متعددة للجمل الخبرية القرآنية، الذي يأتي منه التداخل، والتماثل كما تكشف ذلك في متن البحث.
11. أما القصر، فلا يختلف عن سابقه من التراكيب في تقمص الأثر بتحديد نقات الالتقاء والتشابه بين أمرين في الجمل الخبرية الإنشائية، مما يسبغ عليها دلالات عدة في النص القرآني منها الاعتاظ، والتمعن، واستقاظ ذهن المتلقي على السياقات المقصورة والتنبيه لها. وكان لاسلوب الأمر في الجملة الخيرية القرآنية بالغ الأثر في انحراف المعنى من الإخبار الحقيقي إلى دلالات أخرى لا يمكن توديه الجملة الخيرية منفردة من دونه.

• قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الألوسي، شهاب الدين الألوسي، (ت 1270 هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، حققه: علي عبد الباري عطية، منشورات الدار العلمية، بيروت، ط1، دبت .

- الأصفهانيّ، أبو القاسم محمد الاصفهانيّ (ت502هـ)، تفسير الراغب الاصفهاني(ت502هـ)، جامعة طنطا، الطبعة الأولى، 1420هـ = 1999م .
- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م .
- ابن فارس، لابي الحسين ابن فارس(ت295هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، منشورات دار الجيل، د.ت.
- ابن كثير، ابن كثير عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير(774هـ)، تفسير القرآن العظيم: (المشهور بتفسير ابن كثير) ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلميّة، الطبعة الأولى 1419هـ.
- أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، خصائص التركيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، مكتبة وهبة القاهرة، -مصر ، ط4، 1996م.
- أبي بكر، يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان 1983م.
- البستاني، د. محمود البستاني قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا، مؤسسة السبطين العلمية، ط2، د.ت.
- بسيوني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مؤسسة المختار - مصر - القاهرة، دار المعالم الثقافية الإحساء، ، ط1، 1998م - 1419هـ.
- الثعالبيّ، أبو منصور الثعالبيّ (ت429هـ)، الإعجاز والإيجاز، التزم شرحه وطبعه إسكندر أصناف، المطبعة النموذجية بمصر، ط1، 1897م.
- الجارم، وأمين، علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع ، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط5، 1429 هـ .
- الجزريّ، ضياء الدين بن الأثير الجزريّ ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام المنثور ، ، تحقيق وتعليق : د. مصطفى جواد، و الدكتور جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي 1956م.

- جمعة، د. حسين جمعة، جمالية الخبر والإنشاء، (دراسة بلاغية جمالية نقدية) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2005م .
- حسن طبل ، علم المعاني في الموروث البلاغي ، تأصيل وتقديم، مصر- القاهرة، مكتبة الإيمان، الطبعة الثانية، 2004م|. .
- الخالديّ، د. صباح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، دار القلم - دمشق، دار الشامية - بيروت .د.ت .
- الخليل، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175هـ) ، العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي ، منشورات دار الفكر، د.ت.
- درويش، محي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، منشورات دار اليمامة، دمشق بيروت، ودار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط4 ، د.ت .
- الرازيّ، محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر، (ت604هـ)، مفاتيح الغيب، دار الفكر لبنان - بيروت، ط1، 1981م .
- الزّجاج ، أبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، (ت311هـ)، معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق الدكتور: عبد الجليل عبيد شلبي، عالم الكتب ، ط1، 1998م.
- الزمخشريّ، محمد بن عمر الزمخشري (538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق وتعليق ودراسة عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، مكتبة العبيكان - الرياض ، ط1، 1998م
- السامرائي، الدكتور فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، ، العاتك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2006م ط1 ، بغداد.
- السبكيّ، ابن يعقوب المغربي بهاء الدين السبكي (ت733هـ)، شروح التلخيص القزويني، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، المكتبة العصريّة، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، 2003م
- سلطان، الدكتور منير سلطان، البديع تأصيل وتجديد، ، دار المعارف - الإسكندرية، 1986م.

- سلامة، محمد حسين سلامة، الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، منشورات دار الأفاق العربيّة، ط1، 2002م.
- السمعانيّ، أبي المظفر السمعاني (ت489هـ) تفسير القرآن، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن - الرياض، ط1، 1997م.
- سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، ط14، 2002م.
- السيوطيّ، جلال الدين السيوطيّ (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربيّة السعوديّة، د.ت. الشحات، د. الشحات محمد أبو ستيت، دراسات منهجية في علم البديع، ط1، 1994م.
- الشوكانيّ، محمد بن عبد الله الشوكاني، (1250 هـ) فتح القدير، منشورات دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1414 هـ.
- الصّفار، ابتسام الصّفار، التعبيرات القرآنيّة والبيئة العربيّة في مشاهد يوم القيامة، مطبعة الآداب، النجف الأشرف - العراق. ط1، 1966م.
- الطبريّ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (ت310هـ) جامع البيان في تأويل مشكل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- الطبرسيّ، مجمع البيان في تفسير القرآن
- العسكريّ، أبو هلال العسكري (ت395هـ) الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة - القاهرة. د.ت.
- العلويّ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت749هـ) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، بيروت، المكتبة العصريّة، 1914م.
- العماديّ، أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت951هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، منشورات دار إحياء التراث العربي، ط1 بيروت - لبنان، د.ت.
- فارس، أحمد محمد فارس، النداء في اللغة و القرآن، دار الفكر بيروت - لبنان، ط1، 1989م.

- الفيل، أ.د توفيق الفيل ، بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني، ، مكتبة الاداب، مصر - القاهرة، د.ت.
- قليقطة، عبد العزيز قليقطة البلاغة الإصطلاحية، دار الفكر العربي، مصر - القاهرة 1987م.
- الكاتب، إسحاق بن إبراهيم بن سلمان بن وهب الكاتب ، البرهان في وجوه البيان، تقديم وتحقيق: د. حفني محمد شرف، منشورات مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة .د.ت
- النسفي، أبو بركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي(ت710هـ-)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق وتخريج احاديثه يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، 1419هـ، 1998م.